حياري . ودام الامر على ذلك زماناً طويلاً ونحن نسمع الصوت كل ليلة تقريباً . وكنتُ ليلة جالساً وحدي امام القاعة وكانت كل قناديل الغار مطفأة الاَّ قناديل المدار فسمعتُ من البيانو صوتاً غير موسيقي كالصوت العادي فدخلت القاعة ولم اسمع تغيراً في الصوت فاضأت قناديلها واذا بالصوت الموسيقي صدح كما كنا نسمعه من قبل فقلت في نفسي لا يبعد ان يكون هذا الصوت حادثاً من تحريك الغاز لاسلاك البيانو لانه لم يكن يُسمَع الاَّ في المساء وقناديل الغار مضيئة . وبعد البحث المدقق وجدتُ ان الصوت لم يكن حادثاً من البيانو نفسه بل من مقياس الغاز (الميتر) وكان هذا المقياس موضوعاً تحت البيانو في النقب الذي تحت القاعة فكنا نسمع صوته كانه خارج من البيانو وبعد ايام ضجرنا من الصوت فالتزمنا ان نبدل ذلك المقياس بمقياس آخر فلم نعد نسمع شيئاً ولا ريب عندي ان اموراً كثيرة نُسبت الى قوى فائقة الطبيعة ولو نظر فيها انسان حاذق نظراً مدققاً لرأى لها سبباً طبيعياً بسيطاً

تاريخ بابل واشور

لجناب جميل افندي نخلة المدور (تابع ما قبله)

وفي سنة ٦٨٣ عاد سوزوب الى بابل مرةً ثالثة لتهييج الفتنة فنهض اليه سخاريب وقد اخذهُ من الحنق ما لم يبقَ معهُ موضعٌ للصبر ولا محلٌ للرفق وانصبَّ عليه بجنوده فانكسر سوزوب كسرةً لم يقم بعدها ونسلَّم سخاريب بابل فضربها ضرباً شديداً ولم تاخذهُ فيها رحمةٌ ولا شفقة مع ما كان لها عندهُ من الحرمة لانها مدينة الآلهة وولَّى عليها ولدهُ اَشُور ناردين المعروف باَسرحدُّون وهو رابع ابنائه . وبعد ما مهَّد الامر في بابل انقلب راجعاً الى نينوى فاقام بها زهاء سنتين يحكم بالعسف والجور الى ان كان يوماً ساجداً في هيكل نسروخ فوثب عليه ابناهُ اَدرَمَّلك وشَرَاَسَر فقتلاهُ بالسيف طمعاً في تولي الملك من بعده وكان مقتله سنة ٦٨١

وكان من اعقاب ذلك انهُ لما بلغ الامر اسرحدُّون في بابل حشد كتائبه وانقضَّ بها على نينوى يريد النقمة من اخويه ونسلُّم المدينة بعد ابيه فاجفل اخواهُ من وجهه وفرَّا بانفسهما الى ارمينية فنبض اسرحدُّون على زمام نينوى واجتمع له الامر على اشور والكلدان جميعاً . ولما استتبَّ في يده الملك شرع في تنكيل ابيه في الاحكام والغارات وتشييد المعاقل والقصور ولم يلبث طويلاً حتى بلغ من العزَّة والسطوة وبُعد الصيت وفخامة الشان ما لم يبلغهُ كثير من عظماء الملوك . وكان اسرحدُّون من اشدِّ الملوك عزيمةً واعلاهم همةً واقواهم جاشاً وكان على ذلك موفَّق المُقدَم مسعود الجَدّ لم يخفق في غزوة ولا توجَّهت عليه عزيمةٌ مع كثرة غاراته وحروبه وبُعد مترعه في الغزوات والفتوح . واخبارهُ

لا يزال الكثير منها الى هذا العهد مسطرًا على الآثار غير انها غُفل من بيان التاريخ ناقصة الشرح في اكثر المواضع الاَّ ما كان منها في اوائل ملكهِ فانهُ اوسع بسطًا مما يليهِ

فما نطقت بهِ تلك الآثار مما حكاهُ اسرحدُّون عن نفسهِ قولهُ في بعضها . اول ما اخلدتُ الى الغارات وجَّهتُ ظلائع بأَي جهة فيدنية فحاصرتُ مدينة صيدا التي على فم البحر فدككتُ اسوارها ونسفتُ مصانعها وهياكلها وطرحتُ انقاضها في البحر وقتلتُ من بها من الكبراء والزعماء وفرَّ ملكها عبد الملكوت فاوغل في البحر فتعنَّيتُ مسيرهُ وشققتُ الامواج وراءهُ شقَّ الاسماك حتى ادركتهُ فقبضتُ عليهِ وجدعتُ انفهُ ثم عدتُ فاستحوذتُ على ما في خزائنهِ من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والكهرباء والجلود المطيَّبة بالاغاويه العَطِرة وخشب الابنوس والاقمشة المصبوغة بالنيل والارجوان واستقتُ من ملكتهِ الرجال والنساء والبقر والشاء والدواب وسائر ما نهبًا لي نقلهُ وحملهُ الى مملكتي . وبعد ذلك شيَّدتُ حصنًا منيعًا سميتهُ دور اسرحدُّون وشحنتهُ بالرجال الذين اجليتهم من البحر الاعلى من ناحية مشرق الشمس

وبعد ان اتمَّ كلامهُ في هذه الغزاة ذكر انهُ سار من هناك الى مملكة يهوذا يريد التهامها فنازلها وقهر ملكها منسَّى وقادهُ اسيرًا الى بابل ثم رقَّ لهُ فاعادهُ الى مملكتهِ على اتاوة يرفعها اليهِ كل سنة . قال ثم خرجتُ من هناك قاصدًا اقليم وان ونواحي بحر الخزر فدوَّختها جميعًا وبيننا انا في تلك الاطراف وقد تراءت المسافة بيني وبين مملكتي اغتنم نبوزرسمنات بن مرودخ بلادان هذه النهزة واغرى من تحت يدهِ من الطوائف الناطنة عند خليج فارس بالنشوز عن طاعتي فانصرفتُ اليهم واوقعتُ بهم ووليتُ عليهم مكان نبوزرسمنات اخاهُ نبهد مرودخ بعد ان ضربتُ عليهِ خراجًا . وعدتُ من بعد ذلك الى بابل فلما بلغتها وجدتُ سبلاَّت ميكل بورسيبا قد استولى عليها رجلٌ كلداني اسمهُ سماسبني وفرَّ بها الى مدينةٍ يقال لها بيت دكوري فتوجهتُ اليهِ فيها وانتزعتُ من يدهِ السبلاَّت المغصوبة وأعدتها الى موضعها في بورسيبا ووكلتُ الاحتفاظ بها الى نبوشليم بن بطزو وهو من الثقات القائمين بحرمة الشرائع وصيانة القوانين

ثم قال وكان ابي قد غزا الى بلاد العرب وافتتح مدينة دومة الجندل وهي عاصمة البلاد فجدَّدت الغارة على تلك البلاد وقهرتها وغنمت منها واجليت حيًّا غفيرًا من اهلها . وبعد ذلك وفد عليَّ الرسل من عند ملكهم يحملون اليَّ الهدايا السنية والبضائع التي يعزُّ وجودها في غير البلاد العربية ويسألونني ان امنَّ عليهم بالاصنام التي غنمتها من ارضهم فاستجبت مسؤولهم وامرت الخائنين فاصلحوا ما تعطَّل منها ثم امرت فنُفِّذت عليها تسابيح اشور وعظائم اسمي المبجَّل . وبعد ان مضت على ذلك مدةٌ من الدهر تغيَّر رأْي فيهم فوجهت اليهم طابوبا احدى نسائي تتولى الحكم عليهم وقلت لها

اذهبي فقد جعلتكِ سيدةً على العرب كلهم وعهدت اليها ان تأخذ لي منهم في كل سنة خمسة وسبعين وقرجل علاوةً على ما كانوا يؤدونهُ الى ابي سنحاريب

ثم ذكر انهُ بعد ذلك توجَّه لتدبير اقليم الحجاز وعاصمتهُ اذ ذاك مدينة يثرب وعليها ملكةٌ اسمها حسن فلما قضى نحبهُ قلد مكانهُ ابنهُ يَعْلَى وضرب عليهِ اتاوةً جزيلة . ثم اوغل من هناك في بلاد العرب حتى اتى اليمن ودخل حضرموت وغنم منها الغنائم الطائلة وعطف منها على بلاد فارس فدوَّخها واسر بعضًا من ملوكها وقتل عنها ظافرًا مؤيدًا . ولما استقرَّ بهِ المقام في نينوى اقام بها صرحًا كبيرًا جعلهُ مدَّخرًا لكنوزهِ . وفي سنة ٦٨٢ غزا الى قبرس واخضع ملوكها العشرة ثم ارتحل منها الى مصر فادخلها في طاعتهِ وترك فيها قومًا من الاشوريين يكونون سياطرةً عليها ورقباءَ خوف الفتنة

وكان اكثر مقام اسرحدُّون ببابل كما يدلُّ على ذلك كثرة ما لهُ فيها من المباني وهو آخر من اشتهر من ملوك اشور بالفتوح الكبيرة والغزوات البعيدة والابنية الحافلة والزخارف الثمينة حتى يُروَى ان القصور التي من بنائهِ كانت كلها مكسوَّةً بالفضة والذهب تاخذ بالبصر من شدَّة لمعانها . وفي هذه السنين المتأخرة كشف لهُ اللورد لايرد الانكليزي المذكور غير مرَّةٍ في هذا الكتاب قصرًا بناهُ ببابل لعلهُ من اعظم القصور البابلية بقول اهل التنقيب انهُ من صنع الفينيقيين الذين اجلاهم معهُ الى بابل

وفي سنة ٦٦٨ مرض اسرحدُّون واعضلت علَّتهُ فجمع اليهِ اكابر دولتهِ وعقد بحضرتهم بيعة الملك لولدهِ اشور بانيبال وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ايار ولم يُبقِ لنفسهِ سوى مدينة بابل واعمالها . وكان اشور بانيبال اذا كتب الى ابيهِ يفتتح كتابهُ بقولهِ من اشور بانيبال ملك اشور الى ابي ملك بابل . وعاش اسرحدُّون بعد ذلك سنةً ثم ادركتهُ الوفاة

ولما مات اسرحدُّون خلفهُ على سرير بابل ولدهُ شمُلصامغين وهو الذي يسميهِ المؤرخون بصاوصدوخين فلم يستقرَّ في الملك حتى هاجت الفتنة في بابل وهو في مقدمة الاحزاب وقد انضمَّ اليهِ نعومان ملك عيلام ومن شايعهُ من الثائرين وهبَّت امم مصر والعرب في طلب الاستقلال وانتشر الشغب في جميع الاقاليم الخاضعة لاشور بانيبال فجرَّد اشور بانيبال جحافلهُ وزحف بها لمقاتلتهم فكانت بينهُ وبينهم مواقع شتى دارت فيها الدائرة على الاحزاب ففرَّق جموعهم واكثر فيهم من النكال وفرَّ صاوصدوخين فلجأ الى اختٍ لهُ كانت لها شفاعةٌ عند اخيهِ اشور بانيبال فتوسل بها اليوان تسأل لهُ الصفح عن صنيعهِ فمنَّ عليهِ وردَّهُ الى ملكهِ . ثم سار الى شوشانة وعيلام ليحُلَّ بها نقمتهُ على ما آلت اليهِ لاخيهِ فنهبها جميعًا وقتل نعومان ملك عيلام وحرَّق كثيرًا من المدائن وعاد الى نينوى وقد انتشرت هيبتهُ في تلك الاقطار